

اللسان الرسمي والهوية الوطنية في ظل التعددية اللسانية في الجزائر

The official language and national identity under Algeria's linguistic pluralism

د. سمرة عمر

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي-تبسة، samra.amor@univ-tebessa.dz

تاريخ النشر: 2023/03/30

تاريخ القبول: 2023/03/23

تاريخ الاستلام: 2023/03/18

ملخص: يتناول هذا المقال موضوع اللغة الرسمية في الجزائر، وعلاقتها بالهوية الوطنية، وتهدف إلى إبراز دور اللغة العربية في الحفاظ على هذه الهوية، وحمايتها من الانصهار في اللغات الأخرى مثل الفرنسية... وغيرها، والتي تشكل لغة الآخر المختلف فكريا وثقافيا وهوياتيا وتفرز تصادما يؤسسه تركز لغة أخرى مقابل اللغة الرسمية، فقضية الانتماء والهوية، قضية جوهرية تتفاعل إيجابا مع موضوع إثبات الذات أمام الآخر، وإشكالية اللغة الرسمية والهوية الوطنية لا تزال قائمة تثار في مختلف الميادين المعرفية، خاصة مع ما يشهده العالم من تحولات فكرية واجتماعية، وسياسية، واقتصادية.. إلخ.

كلمات مفتاحية: اللسانيات، اللغة العربية، الهوية، الجزائر، الانتماء، التعدد اللساني.

Abstract: This article addresses the subject of Algeria's official language and its relationship to national identity. It aims to highlight the role of Arabic language in preserving this identity and protecting them from fusion in other languages such as French... etc., which constitute the language of the other intellectually and culturally different and create a confrontation founded by the centralization of another language versus the official language the issue of belonging and identity is a fundamental issue that interacts positively with the subject of self-proof before the other and the problem of official language and national identity persists in various fields of knowledge, Especially with the world's intellectual, social, political and economic transformations. Etc.

Keywords: Algeria; official language; Arabic language; identity; linguistics.

المؤلف المرسل: د. سمرة عمر، الإيميل: samra.amor@univ-tebessa.dz

1. مقدمة :

يعد اللسان في مبدئه قواعد تواضع عليها القوم لغرض التواصل كما يذهب (ابن جني)، فاللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وهذا التعاقد الذي ينسجه المجتمع يشكل رابطا متينا، وميثاقا قويا بينهم، ولا يعكس فقط الاشتراك في امتلاك اللغة واستعمالها، وإنما يخلق روح التضامن واللحمة والمحبة والعصبية بين المجموعات المختلفة، ويصنع الهوية المشتركة بينهم، بل يتعدى ذلك إلى خلق مجموعات هوياتية داخل هويات أكبر.

ويرتبط سؤال الهوية بوعي الإنسان بذاته، كما يرتبط باللغة ارتباطا شديدا، وقد طفى على السطح من جديد مع العولمة وظهور الاستعمار الحديث، الذي لم تعد أهدافه اقتصادية وسياسية فحسب، بل ثقافية تسعى إلى جعل العالم في نمط موحد، تهيمن عليه القوى الكبرى على جميع الأصعدة، وبالتالي تصبح الثقافات الأخرى مهددة، ودخول العالم مرحلة الانقراض الهوياتي، وتراجع التنوع الثقافي الذي من أهم معالمه انقراض اللغات.

لذلك تعد اللغة العربية في الجزائر اللسان الرسمي، ورمز الهوية الوطنية في امتدادها التاريخي، وهويتها الشاملة والجامعة، إذ تمثل لغة التواصل الرسمي الذي تتطلبه مقامات ذات طابع رسمي كالتعليم والإعلام والإدارة... إلخ، وتنوب عن التواصل اليومي الذي ينفي الخصوصيات الجهوية والعرقية. والسؤال المطروح:

إلى أي مدى يمكن الحديث عن لسان رسمي في الجزائر في ظل التعددية اللسانية؟

2. تعريف اللسانيات: يمكن القول بإيجاز أن اللسانيات (linguistique) الدراسة العلمية الموضوعية للسان البشري، من خلال الألسنة الخاصة بكل قوم¹، أو هي "علم موضوعه اللغة"²، تشمل كل الفروع التي تتخذ من اللغة موضوعا لها. وقد أخذ هذا العلم طابعه العلمي على يد السويسري (فرديناند دي سوسير) (F de saussure) (1913-

(1857)، بحيث أحدثت دراسته نقلة نوعية وثورة إبستمية في مجال البحث اللغوي، في بداية القرن العشرين. وقد كان هدف (سوسير) الأساس هو دراسة اللغة في ذاتها ولأجل ذاتها، يقول: "إن هدف اللسانيات الوحيد إنما هو دراسة اللغة منظورا إليها في ذاتها ومن أجل ذاتها"³، بحيث تأخذ الدراسة اللسانية لديه منطق التحليل العلمي والموضوعي للغة، بصيغة تزامنية تعتمد الوصف الآني، وتبتعد عن الخطية.

وأهم ما جاء به (دي سوسير) ثنائيات (الدال/المدلول)، (اللغة/الكلام)، (التزامني/التعاقبي)... إلخ، وهي ثنائيات ساعدت على إثراء الدرس اللساني فيما بعد. فنشأت منها علوم لغوية عدة مثل: علم النص، علم الأصوات، علم الدلالة، علم الأسلوب، والسيمولوجيا... إلخ.

3 مفهوم الهوية الوطنية:

يعرف (المعجم الوسيط) الصادر عن مجمع اللغة العربية (الهوية) بأنها: "حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره، أو هي بطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله، وتسمى البطاقة الشخصية أيضا"⁴، فالهوية تمثل صفات الشخص التي يتميز بها عن غيره من الأشخاص، لذا تطلق الهوية على البطاقة الشخصية للأفراد، وهي تحمل معلوماته الخاصة مثل الاسم واللقب وتاريخ ومكان الميلاد والوظيفة وغيرها.

وتشير (الهوية) إلى الجوامع المشتركة، والخواص التي تجتمع حولها هوية اجتماعية ما لها ما يميزها عن غيرها، أي أن الهوية تعبر عن كل من الميزات الفارقة والعلامات المميزة التي تمنح الخصوصية وترسم الحدود بين الديموغرافيا البشرية، وعن السقوف الجامعة ومناطق الاشتراك والاتفاق عند جماعة أو أمة ما. وعموما؛ هي مجمل السمات التي تخص عنصرا أو جماعة دون غيرها، والهوية فلسفيا تراكمية فلا توجد هوية الفرد حتى توجد هوية الجماعة والخلفية الجماعية التي يشغل الفرد مخطا في نسيجها الكبير. ويعبر المنظور الفلسفي عن الهوية على أنها فرصة المطابقة والتشابه والتي تصنع بتظاferها هوية ثقافية لشعب لا يشركه فيها بكل محدداتها شعب آخر وإن اشترك معه ربما في بعضها. وللهوية مكونات أساسية تحدد ملامحها في كل جماعة أو أمة دون غيرها⁵.

ويعرفها (سعيد إسماعيل علي) بأنها: جملة المعالم المميزة للشيء التي تجعله هو، بحيث لا تخطئ في تمييزه عن غيره من الأشياء، ولكل إنسان شخصيته المميزة له، فله نسقه القيمي ومعتقداته وعاداته السلوكية وميوله واتجاهاته وثقافته، وهكذا الشأن بالنسبة للأمم والشعوب⁶ فالهوية هي المميزات التي تميز الأفراد والجماعات عن بعضهم البعض، من حيث المعتقد والثقافة والسلوك والميولات...إلخ.

ويعتبر (جاك ديريدا) الهوية: "حركة توليد الفوارق والاختلافات، إنها انتقال ملتو ملتبس من مخالف لآخر، انتقال من طرف التعارض للطرف الآخر⁷؛ فهي حسب (ديريدا) فعل يتميز بالحركة التي من شأنها إحداث الفوارق والاختلافات في الزمن، ويقوم هذا الفعل على التعارض بين الأطراف، ومنه يمكن أن نستنتج أن الهوية هي التمايز بين فئة وأخرى، أو شخص وآخر وهذا التمايز يمكن أن يؤدي إلى التعارض، وعدم التلاقي بين هذه الفئات والأشخاص.

كما تعني (الهوية): "تماثل المقومات أو الصفات الأساسية في حالات مختلفة وظروف متباينة، وبذلك تشير إلى الشكل التجميعي أو الكل المركب لمجموعة من الصفات التي تكون الحقيقة الموضوعية لشيء ما، والتي بواسطتها يمكن معرفة هذا الشيء وغيره على وجه التحدي"⁸.

ويشير (محمد عمارة): أن هوية الشيء ثوابته التي لا تتجدد ولا تتغير، وتتجلى وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانها لنقيضها طالما بقيت الذات علي قيد الحياة، فهي كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره وتتجدد فاعليتها، ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس، إنها الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتماً لتلك الجماعة⁹.

وتعد اللغة العنصر الأساسي للهوية، فكما قالت المستشارة الألمانية ميركل: إن اللغة هي الشيء الأهم، وليس هناك مجال للأعذار في هذا الشأن، واللغة هي مكون

أساسي من مكونات الثقافية، واللغة العربية مقوم أساسي من مقومات الثقافة العربية الإسلامية، ذلك أن العربية ليست لغة أداة فحسب، ولكنها لغة فكر أساساً، وحتى الشعوب والأمم التي انضوت تحت لواء الإسلام، وإن كانت احتفظت بلغتها الوطنية، فإنها اتخذت من اللغة العربية وسيلة للارتقاء الثقافي والفكري، وأدخلت الحروف العربية إلى لغاتها، فصارت تكتب بها، وعلى هذا الأساس فإن الثقافة العربية هي ثقافة الأمة العربية؛ التي هي أمة الإسلام الذي منه اكتسبت صبغتها، وحملت صفتها، واستمدت طبيعتها¹⁰.

وتعرف الهوية الوطنية (National identity): بأنها الشكل القومي للحياة التي يعيشها الفرد داخل مجتمعه بشكل غير طوعي أو مختار من قبله، ويتحكم في الهوية الوطنية بعض السمات مثل اللغة والأخلاق والعادات المجتمعية الموجودة في المحيط وهي مرتبطة بالقومية والفرق بين الهوية الوطنية والهوية الشخصية هو أن الهوية الشخصية هي التي تميز الفرد عن غيره من خلال سماته الشخصية وثقافته وميوله وما إلى ذلك وهي باختياره، وتتحكم الهوية الشخصية في ظهور الانتماء الطوعي لدى الفرد وهو ما يعزز الهوية الوطنية¹¹. فالهوية الوطنية على أنها مجموعة السمات المجتمعية التي يمتلكها الفرد تبعاً للمجتمع الذي ينتمي إليه.

والهوية الوطنية هي انعكاس لجدلية الاختلاف والاشتراك، إذ لا يمكن تصنيف الجماعات إلا باستحضار عناصر الاشتراك بين مكونات الجماعة الواحدة، ثم عناصر الاختلاف عن الجماعات الأخرى، أي مماثلة الآخر والمماثلة عن الآخر حسب تعبير (كلود دوبار)¹².

1.3 عناصر الهوية ومكوناتها:

تتكون الهوية الوطنية لأي شعب من عناصر أساسية تتداخل وتتفاعل مع بعضها البعض مُنتجةً ما يمكن أن نسميه كينونة منسجمة، ورغم أن عناصر الهوية تختلف من مجتمع لآخر وفقاً للتجارب التاريخية والتحولات المختلفة، التي يمر بها كل مجتمع أو

شعب، فإن هناك بشكل عام عناصر مشتركة بين المجتمعات والأمم والشعوب، ومن بينها¹³:

أ/الموقع الجغرافي: الذي يتواجدون فيه سواء بشكل طبيعي؛ حيث وجدوا أنفسهم في منطقة ما من فترات زمنية طويلة، أو نتيجة هجرات من مناطق أخرى، لأسباب وظروف مختلفة دفعتهم إلى التجمع في هذا المكان، حيث تفرض عليهم الجغرافيا التعاون والعمل معاً، فينشأ شعور مشترك ومتبادل بأنهم مجتمع واحد، ويبدأ تشكّل هويتهم التي تميزهم عن غيرهم من المجتمعات والشعوب .

ب/التاريخ المشترك: الذي عايشته مجموعة من الناس معاً، وفرض عليهم تحديات ونضالات مشتركة جعلتهم، يؤمنون أن بقاءهم وضمّان مصالحهم يتطلب تضحيات من كل فرد فيهم من أجل مصلحة المجموع .

ج/الحقوق المشتركة: حيث يتمتع أبناء الهوية الوطنية الواحدة بحقوق متساوية أمام القانون الذي وُضع من قبَلهم خدمة لهم جميعاً؛ وليس لمصلحة فئة معينة من المجتمع، حيث يمكن لمثل هذا الأمر أن يدوّر الهوية أو على أقل تقدير يُفرغها من محتواها أو جوهرها؛ وكذلك الأمر بالنسبة للواجبات، ليس فقط التي أوجدها القانون، وإنما أيضاً تلك التي تفرضها العادات والتقاليد والقيم المشتركة.

د/اللغة: من أهم عناصر الهوية الوطنية -كما سبق وذكرنا- حيث لا تقتصر أهميتها على كونها وسيلة التواصل أو التفاعل بين أبناء الشعب الواحد فحسب، وإنما لكونها وعاء الثقافة المشتركة أيضاً. واللغة هي التي تنتج الثقافة، ولا نبالغ إذا قلنا إنهما وجهان لشيء واحد، واللغة والثقافة وفقاً لهذا ليستا مستقلتين، وإنما هما جزء من المحيط الذي يعيشان فيه ويتفاعلان معه؛ ومن ثم فإن اللغة عنصر أساسي في الهوية الوطنية، ولذلك لا عجب أن نرى كل دولة تحدد لنفسها لغة رسمية، وتعمل على حمايتها وتعزيزها، بل إن هناك دولاً تحدّد من استخدام لغات أخرى داخل حدودها حتى لا تتأثر الهوية الوطنية لشعبها، ولكي تبقى محافظة على خصوصيتها وربما تفرّدها .

ه/العَلَمُ الموحد: عنصر أساسي في هوية أي مجتمع أو دولة؛ حيث يصبح رمزاً للجميع ومعرّفاً فريداً لهم، والمحور الذي يدورون حوله ليس شكلاً وإنما فعلاً؛ فيقدّمون الغالي والنفيس من أجل أن يبقى مرفوعاً، ليس بالمعنى المجرد، كأن يُرفع على السواري العالية أو العمارات الشاهقة وتؤدي له التحية صباح مساء؛ وإنما بأن يكون فعلاً في القلوب، بحيث يستشعر كل منتمٍ له في حركاته أنه معنيٌّ به، ويكون مستعداً للتضحية بنفسه من أجل ضمان خفقانه؛ لا أن يكون مجرد رمز أو شعار يُتاجر به أو يُستغل من أجل خدمة مصالح ضيقة أو تحقيق طموحات زائفة.

2.3 أهمية الهوية الوطنية:

تمتلك الهوية الوطنية أهمية كبرى في تحقيق الاستقرار داخل المجتمع، بحيث تعمل على توحيد جميع الفئات المختلفة في الدين أو العرق أو اللغة تحت قوانين وأنظمة ثابتة تتبع للوطن الذي تعيش فيه الجماعات المختلفة، مما يحقق الاستقرار وتوحيد كل الأفراد في أمة واحدة وتبني رابطة بين جميع أفراد المجتمع، وللهوية الوطنية أهمية كبرى للمجتمع والدولة، إذ تعمل كقوة تربط بين أفراد المجتمع وتحميه من الانقسامات، بحيث يحصل كل فرد على حقوقه ويتمتع بالرفاهية داخل مجتمعه بناءً على هويته الوطنية وبغض النظر عن وضعه الاجتماعي أو الاقتصادي أو الدين والعمر وما إلى ذلك من الفروقات الفردية. إذ تعد الهوية الوطنية من أهم العوامل التي تساعد على بناء مجتمع متماسك ومتوحد بين جميع أفرادها بغض النظر عن الاختلافات فيما بينهم¹⁴.

3.3 مهددات الهوية الوطنية :

تعد الهجرة إحدى أشكال تهديد الهوية الوطنية، بحيث يصعب على الفرد التقيد بالعادات المجتمعية والأحكام والأعراف الموجودة في وطنه وهو خارجه، كما أن الدولة التي تعامل أفرادها على أساس غير مدني وتراعي اختلافاتهم في العرق أو الدين أو اللغة سيفقد الأفراد شعورهم بالانتماء للهوية الوطنية والقومية، بالإضافة إلى محدودية الموارد المالية والبطالة اللذان سيعملان على اضطراب الوضع الاقتصادي والمعيشي

مما سيهدّد الهوية الوطنية، بحيث يجبر الفرد على الانتقال والهجرة من وطنه، مما يسهم في تهديد الهوية الوطنية لدى الأفراد واتباعهم المجتمع الجديد الذي يقدم الدعم المالي للفرد. إذ تعد الهجرة وقلة الوعي الديمقراطي وسوء الأوضاع المعيشية من أهم مهدّات الهوية الوطنية¹⁵.

- كيف يمكننا المحافظة على الهوية الوطنية؟

يتم المحافظة على الهوية الوطنية من خلال تعزيز خمسة عوامل أساسية موجودة في كافة المجتمعات وهي¹⁶:

- 1- تعزيز المفاهيم الأساسية للانتماء: ويتم ذلك من خلال مشاركة جميع فئات الشعب جنباً إلى جنب في مواجهة التحديات المختلفة مثل التشتت والتفكك وهذه المشاركة أحد عناصر الهوية الوطنية التي تسهم في تعزيز الهوية الوطنية لدى الشعوب.
- 2- الثقافة: يكمن دور الثقافة في تعزيز الهوية الوطنية في أنها تعمل على زيادة الوعي والتماسك المجتمعي وتسهم في بناء هوية وطنية قوية وبناء مجتمعات مستدامة وواعية.
- 3- الوحدة: تعمل الوحدة على تقليص الاختلاف بين الأفراد وغرس روح العطاء في المجتمع دون توقعات ودون مقابل.
- 4- إبراز دور المواطنين: من خلال تعزيز الأعمال والإنجازات التي يقوم بها المواطنون والحفاظ على مخرجات الدولة ومنتجاتها.
- 5- تحقيق التوازن بين المواطنين والوافدين: يسهم حدوث التوازن بين الوافدين والمواطنين الأصليين في تعزيز روح الانتماء وتقوية الهوية الوطنية لدى الأفراد. ومنه يتم الحفاظ على الهوية الوطنية من خلال قيام الحكومات والمواطنين ببعض الواجبات وأخذ الحقوق التي يحتاجها كل فرد داخل المجتمع.

4. التعدّد اللغويّ (purilinguisme):

الدلالة اللغوية لكلمة "التعددية" في اللغة العربية تشير إلى مصدر صناعي مأخوذ عن المصدر الأصلي تعدّد وفعله تعدّد. ويقال تعدّد يتعدّد تعدّداً، أي صار ذا عدد. وفي

اللغة الانجليزية يشير اللفظ pluralism إلى أن هناك أكثر من مبدأ واحد، أي أن هناك ما هو أكثر من شيء واحد. وللاسم صفتان هما plural و pluralistic. ويطلق لفظ plurality أيضا على حالة كون الشيء متعددًا. وعليه فإن المعنى اللغوي للمفهوم في اللغتين العربية والانجليزية يشير إلى وجود أكثر من شيء واحد عددياً¹⁷.

والتعددية مفهوم مطاط، ليس فقط لكونه تعبيراً عن ظاهرة عامة، بل أيضاً لتباين تطبيقاته واستخدامه في كثير من الأحيان للإشارة إلى حالات وأوضاع متناقضة، الأمر الذي يصعب معه عزل المفهوم عن السياق التاريخي وطبيعة التطور المجتمعي في كل حالة على حدة. وثالثاً، هو مفهوم مركب بوصفه تعبيراً عن ظاهرة متعددة الأبعاد. فهناك التعددية الثقافية والتعددية الاجتماعية والتعددية السياسية. ورابعاً، هو مفهوم معقد بحكم كونه مركباً، وإن كان ليس كل تركيب يقود بالضرورة إلى التعقيد، إلا أن عملية التركيب في الظاهرة التعددية جعلت من المفهوم المعبر عنها مفهوماً معقداً، وذلك لارتباطه من ناحية بالعديد من المفاهيم الأخرى مثل الطائفية والعرقية والدولة القومية والديمقراطية. إلخ، ولكون الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية التي يقوم عليها من ناحية أخرى تتضمن عناصر متشابكة ومتداخلة تتوقف بدورها على مجموعة كبيرة من العوامل والمتغيرات المتفاعلة سواء في ذلك الداخلية أو الخارجية¹⁸.

والتعددية كمفهوم ترادف التنوع والاختلاف. أما كمصطلح آخر فإنها تمثل النظام السياسي الذي له خلفية فلسفية ترتبط بإدراك دور الدولة وطبيعة المواطنة بل وطبيعة الإنسان، ولها ملامح مؤسسية ثابتة مستقر عليها، وتقترن بتطور اقتصادي واجتماعي محدد ومناخ ثقافي يقوم على الفصل بين الدين والدولة، وتهدف إلى إدارة الصراع الاجتماعي. بمعنى أن التعددية كمصطلح تعبر عن أحد أشكال الممارسة الديمقراطية. وهذا التمييز بين المفهوم وبين المصطلح تمييز شجاع من شأنه أن يعطي ديناميكية للحياة العامة بحيث يفصل ما بين التنوع كأصل طبيعي وفطري في الحياة ولا بد منه، وبين النظام أو الآلية التي يجب أن تدير هذا التنوع¹⁹.

ويمكن تعريف التعدد اللغوي أيضا بأنه: "استعمال مجموعة ألسن متباينة أو متقاربة في مجتمع واحد"²⁰.

والتعدد اللغوي هو أن يتكلم الشخص لغتين أو أكثر بإرادة منه وبتمييز اللغات عن بعضها بعضا وهذا وفق عملية إدراكية ومرتبطة بالوعي لديه، كأن ينتقل من اللغة الأولى إلى اللغة الثانية دون أن ينقل بعض أجزاء اللغة الأولى إلى الثانية²¹.

ويذهب عالم اللسانيات (أندري مارتيني) "Martinet André" في تعريفه الازدواجية اللغوية إلى كون الازدواجية اللغوية: "وضعية لغوية تستعمل فيها لغتان قويتان من حيث التطور والشيوع استعمال متساويا"²².

وتعرف (جوليت غارمادي) في قولها: "إن الثنائية اللغوية أو التعددية اللغوية: أي إن استعمال منظومتين أو أكثر من جانب المتكلمين في متحد واحد"²³. ويعرف التعدد اللغوي أيضا على أنه " استعمال أكثر من لغة واحدة، أو القدرة على التكلم بأكثر من لغة"²⁴.

وقد ورد في المعجم المفصل في علوم اللغة تعريف مصطلح متعدد اللغات بأنه²⁵:

- هو الشخص الذي يتكلم أكثر من لغتين.

- صفة لمجتمع فيه أكثر من لغتين مستعملتين.

- صفة لكتاب يتضمن نصوصا بأكثر من لغتين.

5. كيف تسهم اللغة العربية كلغة رسمية في الحفاظ على الهوية الوطنية؟

يُعتبر الانتماء من أسمى صور الإخلاص التي تعبر عن اعتزاز الإنسان بهويته؛ فمن الضروري أن يشعر الإنسان بالانتماء لوطنه ولغته وثقافته، ومن أعظم صور الانتماء هو الانتماء إلى الهوية الوطنية ومن ثم الاعتزاز باللغة العربية، كما أن الحياة الثقافية هي أحد أهم الركائز التي يعتمد عليها الإنسان في إدارة أمور حياته وفهمه للعالم من حوله، لذلك

فإن الاعتزاز بالهوية الثقافية من الأمور المهمة التي تُشكّل حياة الأفراد داخل المجتمعات المختلفة.

وتُعتبر اللغة بمثابة المكون الأول والرئيس للهوية الثقافية؛ حيث إنها حياة شاملة للأمة؛ فهي ليست مجرد ألفاظ وكلمات يتم التفاهم من خلالها بل إنها الوعاء الذي يحتوي على المكونات الوجدانية والعقلية والمعتقدات الراسخة داخل المجتمعات، ومن هذا المنطلق فإن الحفاظ على اللغة والاعتزاز بها يعني استمرارية وبقاء أي مجتمع، واللغة هي جزء من هوية الفرد وماهيته؛ لأنها أحد أهم المقومات التي تؤدي إلى وحدة الشعوب، وتحافظ، من ثم، على الهوية الثقافية العربية.

وتعد ظاهرة الازدواج اللغوي من أخطر ما تواجهه اللغة العربية اليوم، فقد وضعت الازدواجية في اللغة العربية نفسها على نحو إشكالي في صيغ وتجليات مختلفة على مر العصور، وهي اليوم تبدو أكثر عمقا وخطورة، وهي تعبر عن حالة انكسار حضاري شامل يفرض ثقله على الأمة العربية ليشكل أحد أكبر التحديات الممانعة لحدثة الأمة ونهضتها.

ولذلك فالازدواجية والتعددية اللغوية تشكل ظاهرة مرضية في مجتمعاتنا العربية، وتعتبر عن حالة التردّي والهزيمة الحضارية التي تعيشها هذه الأمة في حاضرها، نظرا لاختلال العلاقة بين الفصحى والعامية. لقد فرض الانكسار الحضاري الذي تعيشه الأمة حالة من التردّي اللساني، أدى إلى اهتزاز العلاقة بين اللغة والحضارة، ففقدت العلاقة بين الفصحى والعامية ذلك التوازن الخلاق الذي كان يتميز بقوته وخصوبته، وتحولت تلك العلاقة إلى ظاهرة مرضية خانقة تفرض نفسها اجتماعيا وأخلاقيا وسياسيا، على مختلف طبقات الحياة والوجود في المجتمعات العربية المعاصرة.

1.5 اللغة العربية والهوية الوطنية:

تعد اللغة العربية اللغة الرسمية في الجزائر في مقابل اللغات الأخرى، فقد نص الميثاق الوطني أن اللغة العربية هي اللغة الأولى في الوطن والعنصر الأساسي للهوية

الثقافية للشعب الجزائري²⁶، والخيار بين اللغة الوطنية ولغة أجنبية أخرى أمر غير وارد وغير مقبول²⁷.

فاللغة العربية في الجزائر هي مظهر من مظاهر الهوية الوطنية، وتجسيد لمبادئها، فهي تربط بين أفراد الوطن، وتقوي الصلة بينهم، فاللغة "مرآة الشعب ومستودع تراثه وديوان أدبه وسجل مطامحه وأحلامه وأفكاره وعواطفه، وهي فوق هذا وذاك رمز كيانه الروحي وعنوان وحدته وتقدمه وخزانة عاداته وتقاليده"²⁸.

وهي تمثل الذات، وتجسد الهوية الوطنية، وتبرز ملامحها أمام الآخر، ولذلك تعد اللغة "بلا منازع أبرز السمات الثقافية، وما من حضارة إنسانية إلا وصاحبها نهضة لغوية، وما من صراع بشري إلا ويبطن في جوفه صراعا لغويا، حتى قيل إنه يمكن صياغة تاريخ البشرية على أساس صراعاتها اللغوية"²⁹.

وقد تصبح اللغة الرسمية رديف الإقصاء والتهميش ورفض الغير، عندما تأخذ طابع السلطة، دون احترام خصوصية الآخر، أو الاعتراف بهويته، فيصبح الدفاع عن اللغة والثقافة شعار الدفاع عن الوجود وإثبات الذات، فيبدأ الصراع ويأخذ منحى يتسبب في حالات مواجهة و تصادم "وهناك صراع لغوي عندما تتواجه لغتان واضحتا الاختلاف، لغة هي المهيمنة سياسيا - في الاستعمال الرسمي والاستعمال الشعبي - ولغة أخرى مهيمن عليها، وتبقى معه بؤر التوتر قائمة على غرار ما يحدث في بعض الدول من أمريكا الجنوبية والهند وحتى الولايات المتحدة الأمريكية التي يبدو فيها ظاهريا انسجاما لغويا "يفترض أن بلدا كالولايات المتحدة الأمريكية مجتمع منسجم اللغة حيث يتحدث كل فرد فيها بالإنجليزية"³⁰.

فاللغة العربية هي اللغة الأم وهي هوية المرء، التي هي جزء من هوية الأمة التي ينتسب إليها، وهي محور المنظومة الثقافية المتجذرة والأصيلة منذ القديم، وإذا ما فقد أي شعب لغته الأم فإن ذلك سوف يؤدي لا محالة إلى طمس ذاتيته الثقافية، وفقدانه هويته المميزة لأن اللغة ولا يعني الحفاظ على لغتنا الأم وثقافتنا التقوقع وعدم الانفتاح

على لغات أخرى واكتساب ثقافتها، وتُعرف إسهاماتها جنسية من لا جنسية له، إنها وطن، ومن فقد لغته فقد وطنه³¹.

والحفاظ على اللغة الأم وثقافتنا ليس هو التوقع وعدم الانفتاح على لغات أخرى واكتساب ثقافتها، وتُعرف إسهاماتها في مسيرة الحضارة البشرية، لأن في هذا الانفتاح وذلك التعارف إغناء لثقافتنا دون أن يعني ذلك التفريط في لغتنا الأم، وإنما يعني الانفتاح الإيجابي، فالهوية العربية تتغذى على الموروث الثقافي العميق الجذور والممتد في تاريخنا العربي، نظرا للدور الذي يمكن أن تؤديه اللغة الأم في التنمية الشاملة والمستدامة للمجتمع من طرف، وصياغة ملامحه وهويته وتماسكه من طرف آخر³².

6. خاتمة:

نخلص في نهاية هذه المداخلة إلى أن اللغة ليست مجرد أداة للتواصل، بل عنصر مؤسس للهوية، ومكون أساس من مكوناتها التي لا تتجزأ عن بعضها، فهي التي تحدد هوية الوطن وهوية الجماعات التي تعيش فيه، والجزائر قد وعت منذ الاستعمار بأهمية اللغة العربية، ورفعت شعار التعريب لينتقل باللغة العربية من حالة التهميش والإقصاء والطمس إلى حالة التفعيل في المحيط الاجتماعي، فاللغة ترتبط بالتطور والنمو والتقدم لكونها حاملة الفكر والحضارة، كما تلعب دورا هاما في المجال العلائقي، حيث تسهم في تماسك المجتمع وثقافته الاجتماعية، وتعمل على بلورة الهوية الوطنية فيه.

7. قائمة الإحالات:

¹ J dubois et autres : Dictionnaire de linguistique , paris, 1973, p 300-303 .

² عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1986م، ص23.

³ F de saussure : cours de linguistique générale, édition talantikit, bijaia, algérie, 2002 , p351.

⁴ المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

⁵ علي الصلابي: الهوية الوطنية ركن من أركان الدولة الحديثة المسلمة، على الموقع: <https://www.aljazeera.net/blogs>، بتاريخ: 2022/07/23، على الساعة: 18:01.

⁶ سعيد إسماعيل: التربية الإسلامية وتحديات القرن الحادي والعشرين، مجلة المسلم المعاصر، العدد: 85، 1997م، 95.

⁷ Jacques Derrida : marges de la philosophie, minuit, paris, p218.

⁸ رشدي أحمد طعيمة: الثقافة العربية الإسلامية بين التأليف والتدريس، دار الفكر العربي، 1998م، ص 35.

⁹ محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ط1، ص6.

¹⁰ علي الصلابي: الهوية الوطنية ركن من أركان الدولة الحديثة المسلمة، على الموقع: <https://www.aljazeera.net/blogs>، بتاريخ: 2022/11/12، على الساعة: 18:01.

¹¹ ناهد عبادة: أهمية الهوية الوطنية، على الموقع: <https://sotor.com>، بتاريخ: 2022/11/12، على الساعة: 17:38.

¹² كلود دوبار: أزمة الهويات، تفسير تحول، المكتبة الشرقية، لبنان، 2007، ص18.

¹³ جمال سند السويدي: الهوية الوطنية في عالم متداخل، على الموقع: <https://www.alittihad.ae/opinion/4120843>، بتاريخ: 2022 / 11 / 12، على الساعة: 19:03.

¹⁴ المرجع نفسه.

¹⁵ المرجع نفسه.

¹⁶ المرجع نفسه.

¹⁷ فاخر سلطان: التعددية في بحر وجودها وتعريفاتها، الحوار المتمدن، عدد: 1657، على الموقع: <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=74048>، بتاريخ: 2022/11/12، على الساعة: 17:48.

¹⁸ ينظر المرجع نفسه.

- ¹⁹ ينظر المرجع نفسه.
- ²⁰ صالح بلعيد: في الأمن اللغوي، دار هومة، الجزائر، دط، 2010، ص 224.
- ²¹ حبيب مونسي: الواحد المتعدد: النص الأدبي بين الترجمة والتعريب، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2005، ص33.
- ²² André MARTINET. Eléments de linguistique générale. 04ème édition. Paris : Armand Colin, 1998. P148.
- ²³ جوليت غارمادي: اللسانة الاجتماعية، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، 1991، ص115.
- ²⁴ فلوريان كولماس: دليل السوسيو لسانيات، ترجمة: خالد الأشهب، و مجدولين النيهي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 ، 2009 ، ص650 .
- ²⁵ محمد التونسي وراجي الأسمر: المعجم المفصل في علوم اللغة، دار الكتب العلمية، لبنان، 1993، ص546.
- 26 الميثاق الوطني: ص 85.
- 27المرجع نفسه: ص86.
- 28جميل صليبا: تعريب التعليم بين القائلين به والمعارضين له، مجلة العربي، عدد 182، جانفي 1974، ص 120.
- 29علي نبيل: الثقافة العربية وعصر المعلومات، عالم المعرفة، عدد 276، الكويت، 2001، ص 228.
- 30مجاهد ميمون: اللغة الرسمية والهوية الوطنية في ظل المجتمع المتعدد اللغات، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، عدد:06، 2006، ص90.
- 31 محمود السيد: لغتنا الأم العربية الفصحى، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مطابع دار البعث، سوريا، مج84، 2009، ص13-15.
- 32المرجع نفسه: ص 15.